٧

الوحدة السابعة

دور المرأة في التنمية الأسرية

أخي الطالب / أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – بيان دور المرأة في تنمية الأسرة.

٢ – معرفة أهمية دور المرأة التنموي في بناء الأسرة وتربية الأولاد.

٣ – استشعار أهمية ممارسة المرأة لدورها التنموي في بناء العلاقة الأسرية.

٤ – إدراك مفهوم القوامة الزوجية ومجالها وفوائدها في التنمية الأسرية.

دور المرأة في التنمية الأسرية

للأسرة دور مهم في تحقيق التنمية الوطنية المنشودة، فهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهي التي تمده بأهم عنصر من عناصر التنمية ألا وهو العنصر البشري الذي هو أساس قيام التنمية.

فالأسرة التي تتمتع بتماسك في بنائها وترابط بين أفرادها، ستمد المجتمع بعناصر فاعلة منتجة قادرة على تحمل المسؤولية، والاجتهاد في إتقان العمل وتحسين إنتاجه، وبالمقابل فإن الأسرة التي تعيش مشكلات أسرية، أو لا تتمتع بقيم فاضلة، فإنها – في غالب أحوالها – ستقدم للمجتمع أفراداً منحرفين، يتهاونون بالحرمات ويمارسون الجرائم ويعبثون بالمصالح العامة. ويشكلون عبئا على المجتمع بما ينفقه على برامج إصلاحهم وإعادة تأهيلهم وتدريبهم.

ولذا كان لابد من العناية بالتنمية الأسرية. ولما كانت المرأة تأخذ دورًا جوهرياً في بناء الأسرة، فإن عليها مسؤوليات عظيمة في الرعاية الأسرية وتحقيق متطلبات تنميتها. ولعلنا هنا نوجز بعض الأدوار للتنمية الأسرية للمرأة.

۞ أولاً: دور المرأة في تماسك الأسرة.

إن نجاح العلاقة الزوجية واستقرارها وتمتعها بالمودة والرحمة والتعاون على نجاح الأسرة يشكل عنصرا مهما في ترابط الأسرة ومتانتها، وللمرأة دور أساسي في بناء تلك العلاقة، بل إن المرأة متى ما بذلت لبناء علاقة زوجية متينة؛ فإن الزوج في غالب أحواله يستجيب لها. ومن أدوار المرأة في بناء علاقة زوجية متينة ما يأتي:

١ – **تحقيق السكن والمودة**: السكن والمودة والرحمة من نعم الله تعالى التي يضعها

بين الزوجين، ولاستمرار هذه النعم وترسيخها في العلاقة الزوجية فإن هناك عوامل معينة عليها، بعضها مشتركة بين الزوجية وبعضها خاص بالمرأة دون الرجل، فمنها:

- الدعاء، فدعاء الله والإلحاح عليه جلَّ وعلا بطلب التوفيق في الحياة الزوجية وقرة العين فيها من أعظم الأسباب وأهمها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (الفرقان: ٧٤).
- الإعانة على ما ينفع في الدنيا والآخرة: فإن إعانة المرأة لزوجها على ما ينفعه في آخرته، من أجل الأمور التي تجعلها قريبة منه، فتألفها نفسه، ويودها قلبه، وقد أوصى رسول الله ﷺ المرأة التي تعين زوجها على ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[1].
- الكلمة الطيبة: فللكلمة الطيبة أثر عجيب في النفس، فهي تطفئ نار الغضب، وتفتح أسارير القلب، وتبعث الفرحة في الفؤاد الحزين؛ ولذا أمر الله بملازمة الكلام الطيب، فقال: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٨٣).
- تلبية الحاجات: فعلى المرأة أن يجد فيها زوجها الأنثى الجميلة، والمبتسمة الرقيقة، والزوجة المطيعة، والحفيظة الأمينة، وربة الدار الماهرة، والناصحة الحكيمة، وقد سئل رسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ قال:

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين، رقم الحديث: (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، رقم الحديث: (١٤٦٦).

(الذي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله)[1]، وقال رسول الله ﷺ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح)[2].

٢ – **دور المرأة في علاج الأزمات الزوجية:** الأصل في العلاقة الزوجية بين الزوج وزوجته هي المودة والرحمة، وأن يفضي كل واحد منهما إلى الآخر، ويكون لباسا له.

ولكن إذا اختل هذا التوازن، فما الحل؟

الحل نجده في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٨)، فالخطاب الإلهي هنا يرشد المرأة إلى أنها إذا رأت بوادر اختلال في العلاقة بينها وبين زوجها أن تبادر إلى دراسة هذه الحالة، وأن تعمل على وضع الحلول العاقلة الرشيدة لها دون أن تخرج المشكلة من إطار علاقتهما؛ فإن الأمر إذا خرج من بينهما ازداد تعقدا، كما يرشدها إلى ضرورة الحوار معه من أجل وضع حل وسط يرضي الطرفين، ولو أدى ذلك إلى التنازل عن بعض حقوقها، فربما يكون ذلك أهون من هدم هذه الأسرة، وضياع أفرداها جميعا[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٢/٣٨٣)، رقم الحديث: (٧٤٢١)، وقال محققو الكتاب: «إسناده قوي».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: «آمين والملائكة في السماء»، رقم الحديث: (٣٢٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: تحريم امتناعها من الفراش، رقم الحديث: (١٤٢٦).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٢٠٦).

٣ – **دور المرأة في توجيه ميزانية الأسرة**: الزوجة هي ملكة المنزل، وهي الأكثر خبرة باحتياجاته، والأقدر على تقدير ما هو ضروري، وما هو ترفيهي، ومن ثم ينبغي لها أن تشارك زوجها وأبناءها في الموازنة بين الدخول والنفقات، وأن تبذل جهدها في ترشيد المصروفات حتى لا تثقل كاهل زوجها بالديون، وحتى تعينه على حسن الادخار، وتوجيه المصروفات التوجيه الأمثل. وذلك من علامة صلاح الزوجة وفضلها.

❁ ثانياً: دور المرأة في تربية الأولاد.

الأولاد هم ثمرة الزواج وأحد مقاصده، والأمومة مكانة شريفة تتبوَّؤُها المرأة، وذلك للأثر العظيم والدور الجسيم الذي تتحمله الأم، ففي صلاحها صلاح للأبناء والأسرة، وفي التفريط في دور الأم تضييع للأبناء وإفساد لهم، ومن أبرز أدوار الأم مع أبنائها ما يأتي:

١ – **الحرص عليهم**: حث رسول الله ﷺ على طلب الذرية والاستكثار منها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: (تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

(١) المسند، للإمام أحمد، (٦٣/٢٠)، رقم الحديث: (١٢٦١٣)، قال المحقق: «صحيح لغيره، هذا إسناد قوي».

وقد حرم الإسلام قتل الأولاد خشية الفقر والحاجة وأخبر إن رزقهم بيد الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ (الأنعام: ١٥١)؛ لأن في كثرة النسل زيادة للأمة المسلمة، إذ الأمم لا تنهض إلا بسواعد أبنائها، والبلاد التي تنعم بوفرة في شعبها تكون أقدر على الإنتاج والعمل والاكتفاء الذاتي، فكلما زاد عدد أفراد الدولة الذين حرص على تربيتهم وتعليمهم زاد عدد العقول المبدعة، والأيدي المنتجة، وزاد التنافس في الكسب وتنوعت فرصه وصوره.

٢ – **التنشئة الصالحة للأولاد: إن** للمرأة دورًا جوهريًّا في تأهيل الأسرة لحفظ الدين، وذلك بتربية الأبناء على تقوى الله تعالى والالتزام بالعبادات، وتعويدهم على تعظيم شرع الله تعالى باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، فالطفل إذا نشأ في بيئة صالحة، وغُرس في نفسه حب الله وطلب رضاه، والسعي للتخلق بأخلاق الإسلام الفاضلة، فإن نفسه تتسامى عن المحرمات، والانجراف وراء المغريات، ومن جهة أخرى سيحترم مسؤولياته ويتقي الله فيما بين يديه من أمانات، فيؤدي حق الله تعالى ويحسن أداء عمله، وهذا ينعكس بالطبع على تنمية المجتمع وصلاحه ونهضته.

٣ – **رفع مستوى التفاهم في العلاقات الأسرية**: فهناك علاقة قوية بين ارتقاء مستوى التواصل بين المرأة وزوجها وبين التماسك الداخلي لأفراد الأسرة، فالتواصل الراقي يبعث الطمأنينة والسكينة، وينشر الحب والألفة، ويوجد الثقة والانتماء، وفي ظله تنمو أواصر العلاقة بين أفراد الأسرة، ويصبح كل فرد فيهم مستقرا نفسياً، وقادرا على القيام بأدواره في داخل الأسرة وخارجها.

٤ – **مراعاة الفروق الشخصية لأفراد الأسرة**: فعلى المرأة أن تراعي الفروق الفردية بينها وبين زوجها من جهة، وبينها وبين أبنائها من جانب آخر[١].

فالرجل له اهتماماته التي يجب على الزوجة أن تراعيها، وإن بدت لها من تافهات الأمور، وللأبناء الذكور من الضروريات ما ليس للفتيات، وللمراهقين ما ليس للصغار أو الراشدين.

٥ – **الاهتمام بالحقوق الواجبة للأسرة**: فمتى وفَّت الزوجة بما عليها من الحقوق، وأدى الآخرين ما عليهم تجاهها من واجبات، انتفت الصراعات والمشاحنات بين أفراد الأسرة وعَمَّ الحب والمودة والتفاهم والتعاون فيما بينهم.

٦ – **العناية بصحة الأسرة**: للزوجة تأثير في التنمية الصحية لأفراد الأسرة بتوفير بيئة صحية خالية من الأمراض، والعناية بتوفير التغذية المناسبة لجميع أفراد الأسرة، مما يعينهم على التمتع بصحة جيدة، وكذلك توفير وسائل الأمان لعناصر الأسرة، لاسيما إذا كان بعض أفرادها من الصغار أو ذوي الاحتياجات الخاصة.

٧ – **العناية بتنظيم الوقت للأسرة**: فالزوجة الصالحة، والأم الحكيمة، تعي علاقة الوقت بالنجاح والبناء، ولذلك تُعنى بتنظيم الوقت وحسن استثماره بصورة تمكنها وجميع أفراد أسرتها من القيام بواجباتهم وتلبية حاجاتهم دون إفراط أو تفريط وفق معيار قول الصادق المصدوق ﷺ: (إن لربك عليك حقًا،

---

(١) يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة) أخرجه مسلم في صحيحه، مقدمة الصحيح، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم الأثر: (٥).

ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه)[1].
فللعبادة وقتها، ولرعاية الزوج والأبناء وقته، وللراحة والاستجمام وقته، وللمسؤوليات الأخرى وقتها، فحُسن استثمار الأبناء لأوقاتهم، وتَمكنهم من تنظم مسؤولياتهم، سينعكس أثرها على نجاحهم في حياتهم.

٨ – **تعزيز ثقافة الأولاد بأصول الحياة الزوجية**: فالأم عندما يتزوج أحد أبنائها أو بناتها، فإنها تُعنى بتعليمه قواعد الحياة الزوجية، وأن تكون له ولزوجته، أو لزوج ابنتها، نعم المعين في إنجاح حياتهما خاصة في بداية الزواج، وتحذر من التدخل فيما لا يعنيها من حياتهم الخاصة التي هم أدرى بها، وأقدر على حل إشكالاتها، فلا ريب أن الحياة الزوجية مليئة بالأسرار التي لا يفطن لها إلا من يعايشها، فالتدخل له حدوده وضوابطه، وإلا فإن عدمه أولى وأحرى بالفائدة في استقرار حياة الأبناء والبنات، يقول ﷺ: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[2].

٩ – **دور المرأة في حفظ النسب**: النسب رابطة سامية، وصلة عظيمة على جانب كبير من الخطورة؛ لذا لم يدعه الشارع الكريم للأهواء، بل تولاه بشريعته، وأعطاه المزيد من عنايته، وأحاطه بسياج منيع يحميه من الفساد، ويتجلى ذلك في تحريم الزنا بصفته السبب في اختلاط الأنساب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٣٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم الحديث: (١٩٦٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، باب: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، رقم الحديث: (٦٠١٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم الحديث: (٤٧).

ويتمثل دور المرأة في حفظ الأنساب في حفظ فرجها عن الحرام، وتربية أبنائها وكذلك بناتها التربية الحسنة التي تصنع منهن عفيفات لا تجرفهن الدعايات، ولا تلعب بهن المغريات.

ومن الأدوار التي تقوم بها المرأة لحفظ النسب؛ ما أشار إليه القرآن الكريم من تحريم كتمان المرأة المطلقة لما في بطنها؛ لتقصر أيام العدة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: «إن كتمان ذلك يفضي إلى مفاسد كثيرة، فكتمان الحمل موجب أن تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه، واستعجالا لانقضاء العدة، فإذا ألحقته بغير أبيه حصل من قطع الرحم والإرث واحتجاب محارمه وأقاربه عنه، وربما تزوج ذوات محارمه، وحصل في مقابلة ذلك إلحاقه بغير أبيه، وثبوت توابع ذلك، من الإرث منه وله، ومن جعل أقارب الملحق به، أقارب له، وفي ذلك من الشر والفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد»[1].

* * *

القوامة، ودورها على نجاح التنمية الأسرية

۞ أولاً: تعريف القوامة وأدلة التكليف بها.

القوامة هي: ولاية يفوَّض بموجبها الرجل في القيام على ما يصلح شأن المرأة التي تحت يده من زوجة وابنة وأخت ونحوها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (١/١٠١).

وهي تكليف من الله تعالى، والتكليف مناط الثواب والعقاب، فإذا أحسن الرجل في القيام بأمور هذه القوامة فهو مثاب عليها، وإذا أهملها وقصر في القيام بأعبائها فهو مستحق للعقاب، يقول تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (النساء: ٣٤). يقول السعدي رحمه الله في تفسير الآية: «أي قوَّامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله من المحافظة على الفرائض وكفهن عن المفاسد، ... وبالإنفاق عليهن والكسوة والمسكن»[1].

۞ ثانياً: أسباب قوامة الرجل.

١ – خلق الله المرأة من الرجل، وهذا يعني أن فطرتها تميل نحو أن تكون تحت حمايته ورعايته، وفي ذلك تعزيز لدورها، دون ظلم أو تسلُّط عليها.

٢ – الاختلاف الفطري بين طبيعة خلق الرجل والمرأة، فالرجل تميَّز بصفة القوة والإدارة التي تؤهله للقوامة، بخلاف المرأة التي تميزت بالعاطفة والرحمة، فهي – بفضل الله – خلقت بطبيعة لينة سهلة الانقياد.

٣ – المهور والنفقات التي أوجبها الله على الرجل للمرأة وتكليفه للقيام بها.

٤ – دور المرأة في الأسرة عظيم، فهي محط سكن الزوج، ومأوى الأبناء، ومحل رعايتهم ومتابعتهم؛ ولذا فيصعب عليها أن تجمع بين هذه الأدوار المتعددة، ودور قيادة الأسرة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (١٧٧).

❁ ثالثاً: ضوابط القوامة.

١ – أنها مقيدة بطاعة الله تعالى، فليس للمرأة أن تطيع وليَّها فيما حرَّم الله.

٢ – أنها قوامة تلتزم بمبدأ العدل في التعامل مع الزوجة، فلا يكلفها ما لا تطيق، ولا يطالبها بما لا يوافق طبيعتها.

٣ – أنها قائمة على أساس المحبة والمودة والتعاون، فهي إدارة ورعاية، وليست تسلطًا وقهرًا.

٤ – أنها قوامة تلتزم بمبدأ الشورى عند اتخاذ القرار حفاظاً على مصلحة الأسرة[1]، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

٥ – أنها لا تلغي دور المرأة، فللمرأة في ظلها أن تمارس ما ترغب فيه من المباحات، إلا في بعض الأمور التي يشترط فيها استئذان الزوج.

٦ – أنها لا تعني الاعتداء على مال الزوجة وممتلكاتها؛ ولذا حرمت الشريعة على الزوج أن يتصرف في مال زوجته دون رضاها.

❁ رابعاً: أثر القوامة على نجاح التنمية الأسرية.

القوامة من أعظم مقومات نجاح مسيرة الأسرة التنموية؛ لأن القوامة ستمكن الأب من ممارسة دوره القيادي في التوجيه والإصلاح والمتابعة، لاسيما أن سلطة الأب أو الزوج تجعل لديه القدرة على توجيه دفة الأسرة نحو تحقيق رسالتها التنموية في

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٦١١).

المجتمع، وضبط سلوك الأفراد بالقيم التي تجعلهم محصنين ضد الأفكار المنحرفة، والداعية للكسل والبطالة، واتباع الشهوات، وترك الجد والمثابرة.

إن صلاح أي مجتمع ينبع من صلاح أفراده، وصلاح الأفراد يعتمد على مستوى صلاح الأسرة التي تخرَّج فيها هؤلاء الأبناء، ومتى فرطت الأسرة في قوامة الأب؛ ضعفت سلطته على أفراد الأسرة، ومن ثمَّ ضاعت الحقوق، وتعطلت المصالح، وفسدت أحوال الأسرة، وانعكس الأمر على صلاح المجتمع بظهور مشكلات اجتماعية كثيرة، كالطلاق والفقر والجهل وانحراف الشباب، وغيرها من المشكلات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهذا أعظم مهدد للتنمية.

***